

## المتابعة النفسية كآلية لإعادة تأهيل وإدماج المساجين

*Psychological follow-up is a mechanism for rehabilitating  
And reintegrating prisoners*

|                          |
|--------------------------|
| نوال شعلال*              |
| جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة |
| n.chaalal@univ-skikda.dz |

تاريخ الاستلام: 2024/02/13 تاريخ القبول: 2024/10/11

## ● الملخص:

تلعب الرعاية الصحية النفسية دورا مهما وإيجابيا في إعادة تأهيل وإدماج المساجين على نحو فعال، لما في ذلك من تأثير على نفسياتهم، بما توفره من أساليب وآليات وقائية وأخرى علاجية، لمواجهة شتى الأمراض والاعتلالات النفسية، التي مردها أسباب مرتبطة بتجربة الحبس وعوامل اجتماعية أو وراثية، ويتأتى ذلك من خلال الإشراف الطبي والتكفل النفسي الوقائي والاندماجي، وكذا التكفل النفسي التشخيصي والعلاجي، كما ويقتضي ذلك إسهام موظفي السجون في تعزيز سلامة الصحة النفسية للسجين وتوفير بيئة ملائمة في السجن. ولقد كفل المشرع الجزائري الرعاية الصحية النفسية للمحبوسين في قانون 04/05 المتعلق بتنظيم السجون وإعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين، كما حثت على ذلك المواثيق الدولية والتشريعات المقارنة. **كلمات مفتاحية:** الرعاية الصحية، الصحة النفسية للسجين، إعادة تأهيل المساجين، إدماج المساجين.

**Abstract:**

Health care plays an important and positive role, in effectively rehabilitating and reintegrating prisoners, because of the impact it has on their psychology, with the preventive and curative methods and mechanisms it provides to combat various diseases and psychological disorders, which is due to reasons related to the experience of imprisonment and social and genetic factors. This comes through medical supervision and preventive integrative psychological care, as well as diagnostic and therapeutic psychological care. This also requires the contribution of prison staff in enhancing the mental health safety of prisoners, and providing a suitable environment in prison.

The Algerian legislator has guaranteed the right to mental health care in Law 04/05 relating to the organization of prisons and restoring social reintegration to imprisoned people. International conventions and comparative legislation also urged this.

**Keywords:**

Health care, the mental health of the prisoner, Rehabilitation of prisoners, Integration of prisoners.



## مقدمة:

تساعد بيئة السجن في خلق علاقات إنسانية بين المساجين أنفسهم، أو بينهم وبين الموظفين وطاقم السجن، مما يساهم في التأثير على نفسياتهم بشكل أو بآخر وفي إعادة بعث مهاراتهم النفسية، كمهارة الاتصال التي تساعدهم على حل أو تجنب المشكلات النفسية الناجمة عن الجو المغلق الذي تفرضه ظروف الاحتباس، مما يعمل على تنمية قدرات السجناء العقلية التي تؤهلهم لإعادة الاندماج مستقبلاً في المجتمع.

وتجسيدا لذلك، فقد تم تعيين مختص في علم النفس في كل مؤسسة عقابية تطبيقاً لنص المادة 89 من قانون 04/05، المتعلق بتنظيم السجون وإعادة الإدماج الاجتماعي للمساجين، وهذا لأجل الاتصال بالمساجين، حيث جاء فيها: "يعين في كل مؤسسة عقابية مربون وأساتذة ومختصون في علم النفس، ومساعدات ومساعدون اجتماعيون يوضعون تحت سلطة المدير ويشارون مهامهم تحت رقابة قاضي تطبيق العقوبات".

كما حددت المادة 91 دور الأخصائي في علم النفس والممثل في التعرف على شخصية المحبوس ورفع مستوى تكوينه العام ومساعدته على حل مشاكله الشخصية والعائلية وتنظيم أنشطته الثقافية والترفيهية والرياضية، وذلك من خلال الاتصال بالمساجين داخل القاعات أو الفناءات أو في أي مكان يتواجدون به، حيث يلاحظهم عن قرب ويتحدث معهم أو عن طريق اللقاءات الفردية بمكتب الفحص والعلاج.

كما وكان للحق في الصحة النفسية نصيبه من الاهتمام في الصكوك الدولية لحقوق الإنسان، كالإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر سنة 1948 في مادته 25 التي جاء فيها: "لكل شخص حق في مستوى معيشي يكفي لضمان الصحة والرفاهية له ولأسرته، وخاصة على صعيد المأكل والملبس والسكن والعناية الطبية وصعيد الخدمات الاجتماعية الضرورية..."، وكذا العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لعام 1966، في مادته 12 بنصه: "تقر الدول الأطراف في هذا الحق بحق كل إنسان في التمتع بأعلى مستوى من الصحة الجسمية والعقلية يمكن بلوغه..."، وتظهر هذه العناية بالصحة النفسية خاصة من خلال قواعد نيلسون مانديلا لعام 2015- كما سنوضحه لاحقاً-

وعليه فإن إشكالية البحث التي تثار هي حول أسباب اعتلال الصحة النفسية للسجين، ودور الإشراف الطبي وموظفي السجون في تعزيز سلامة الصحة النفسية للمساجين وسبل تحقيقها، وكيف تأثر هذه الرعاية على إعادة إدماجهم؟

ولمعالجة هذه الإشكالية اعتمدنا المنهج الوصفي والتحليلي، بوصف مختلف جوانب الموضوع واستقراء وتحليل النصوص القانونية-الدولية منها والوطنية-المنظمة لهذا الموضوع، وارتأينا تقسيم هذه الدراسة إلى محورين أساسيين:

## المحور الأول: أسباب اعتلال الصحة النفسية للمساجين

## المحور الثاني: تعزيز سلامة الصحة النفسية للمساجين

## 1. أسباب اعتلال الصحة النفسية للمساجين:

تعرف منظمة الصحة العالمية الصحة النفسية بوصفها: (حالة من العافية يستطيع فيها كل فرد إدراك إمكاناته الخاصة، والتكيف مع حالات التوتر العادية، والعمل بشكل منتج ومفيد والإسهام في مجتمعه المحلي).

فيستطيع كل شخص يتمتع بصحة نفسية جيدة أن يفكر ويشعر ويستجيب بطريقة تمكنه من الاستمتاع بالحياة، في حين يواجه من يعاني من اعتلال الصحة النفسية صعوبات في التأقلم مع الحياة وفي التواصل مع الآخرين بشكل بناء.

ويطلق على المرض النفسي أيضا اضطرابات الصحة العقلية، وهي اضطرابات تؤثر على مزاج الفرد وتفكيره وسلوكه، ومن ثم على حياته ومجتمعه، فقد تؤدي إلى انخفاض الكفاءة الإنتاجية مثلا أو عدم القدرة على مجابهة المشاكل والتعامل معها، ومن الطبيعي أن تأثير الضغوط في الناس مختلف، كما وتختلف أسباب التوتر من شخص لآخر.

ويمكن القول أن الإعاقات العقلية وأمراض الصحة النفسية - كثيرا ما تأتي مجتمعة - أسبابها وآثارها مختلفة، إلا أن من شأن كل واحدة منها أن تؤثر على قدرة الفرد على العمل في بيئة السجن، وعليه يتعين على موظفي السجون تطبيق الأساليب المناسبة لكلتا الفئتين<sup>1</sup>.

هذا وتتعدد الآراء حول أسباب الاعتلالات النفسية وتشخيصها والعلاجات الأكثر فاعلية للتعامل معها، ويمكن أن تكون هذه الأمراض ناتجة عن تعرض الشخص لتجربة الحبس، ومن أعراضها وعلاماتها: الانتحار وإيذاء النفس، السلوك غير السوي، الارتباك في التفكير والحديث، تغيرات مفاجئة للمزاج والسلوك، عدم الاعتناء بالنفس والهندام، الهدوء والحزن والانسحاب، السلوك العدواني، التهيج، عدم الاكتراث، الخوف والقلق، صعوبة التركيز، مشاكل في النوم والأكل... الخ.

ومن أبرز الأمراض النفسية: الاكتئاب، القلق، اضطرابات الشخصية، اضطرابات الطعام، اضطراب كرب ما بعد الصدمة (PTSD)، اضطرابات ثنائي القطب، والفصام العقلي.

### 1.1 تأثير بيئة السجن:

بمجرد إيداع الشخص في السجن يشكل ذلك ضغطا نفسيا عليه قد لا يستطيع تحمله أو مقاومته، فالانعزال عن العالم الخارجي فجأة والعيش بين أسوار السجن يشكل كابوسا حقيقيا للسجناء، خاصة فيما يتعلق بعامل الزمن وظروف الاحتجاز، فالسجن بيئة ضاغطة على السجناء والحياة خلف القضبان في مكان يفتقر للخصوصية والحرية تصيبه في الكثير من الأحيان بأمراض عضوية أو نفسية، قد يكون مصابا بها قبل دخوله السجن وتتطور بعد ذلك خلال تواجده به، وبالمقابل يمكن أن يشفى السجناء من هذه الأمراض بعد انتهاء مدة عقوبته وخروجه من السجن أو قد تتفاقم حدتها أكثر إلى درجة العجز النفسي الدائم الذي يصل إلى غاية فقدان القدرة على التعامل مع المجتمع بعد تسريحه وعدم استعداده للعيش كمواطن صالح بإمكانه الاندماج.

#### 1.1.1 تجربة الحبس:

حتى يكون الإنسان صحيا نفسيا، فلا بد من تكامل أربعة جوانب في شخصيته وهي: الجانب الجسدي، الجانب العقلي، الجانب الاجتماعي، والجانب الانفعالي، فيميل الفرد إلى تغيير نشاطه وفقا لما يحدث في بيئته من متغيرات، فعندما يطرأ تغير على البيئة التي يعيش فيها، فإنه يعدل سلوكه وفقا لهذا المتغير ويبحث عن طرق جديدة لإشباع حاجاته، وهذا النوع من السلوك يسمى توافقا، وهو الذي يؤدي إلى الاستقرار النفسي وبالتالي الصحة النفسية وفي حالة العكس يؤدي إلى البحث عن آليات للدفاع.

فغالبا ما توجد مشكلات بين المساجين والعاملين في السجون أو بين السجناء أنفسهم، وعادة ما يشتكون من قصور وقت الزيارات وعدم كفاية الاتصالات الهاتفية، ومشاكل صحية وقلة فرص التعليم والترفيه، وكذا قلة فرص التدريب المهني والعمل<sup>2</sup>.

- شارون كريتوف- أوليفيا روب- ترجمة شركة<sup>1</sup> Edge Dialogue- الصحة النفسية في السجون- دليل إرشادي موجز للعاملين في السجون- المنظمة الدولية للإصلاح الجنائي (PRI) - لندن- مكتب الشرق الأوسط وشمال إفريقيا- عمان- الأردن- 2018- ص 5.

- عرين موسى شيخ علي- المشكلات النفسية والاجتماعية وعلاقتها بالضغوط النفسية لدى النزلاء- ماجستير في الإرشاد النفسي والتربوي- جامعة القدس المفتوحة-<sup>2</sup> فلسطين- 2019- ص 5.

فقد تؤدي تجربة الحبس إذن إلى ظهور المرض النفسي أو إلى ازدياد أعراضه، بحيث يمكن لطول مدة الحبس وغموض المستقبل وانعدام المثيرات الذهنية وانقطاع الصلة بالعلاقات الاجتماعية الداعمة أن تؤدي إلى ظهور أمراض نفسية، فالتغيرات المفاجئة أو الكبيرة في حياة الإنسان يمكن أن تؤدي إلى اضطرابات نفسية، كالتعرض لعقوبة السجن أو المرور بتجربة المحاكمة وجلساتها أو انهيار الأسرة أو موت أحد أفرادها. أما بالنسبة للنساء في السجن فيعد الانفصال عن أطفالهن وفقدان حضانتهم من أكثر الأمور تأثيراً عليهن<sup>1</sup>، الأمر الذي قد يتسبب في انهيارهن واصابتهن بأمراض مختلفة نفسية أو عضوية، لعدم قدرتهن على تقبل الوضع والبعد عن أطفالهن لمدة قد تكون طويلة جداً أو بالمؤبد.

### 2.1.1 ظروف الاحتجاز:

من المعلوم والبدهي أن نفسية البشر تتأثر بالبيئة والمحيط الذي نعيش فيه، فالتجارب والدراسات تثبت أن الأشخاص الذين يعيشون في أماكن طبيعية أو بمساحات خضراء أكثر سعادة وصحة من غيرهم، لأن ذلك ينعكس على صحتهم البدنية والنفسية، ويساعد على الاسترخاء والتركيز أكثر، وأنه بالمقابل ضجيج المدينة والأصوات المزعجة تعود بالسلب على صحة ونفسية الإنسان. وعليه يكون لظروف الحجز داخل السجن تأثيراً خطيراً على الحالة العقلية للسجناء، إذ يلعب اكتظاظ السجون وتردي ظروف الاحتجاز دوراً في اعتلال الصحة النفسية، كما لبعض العوامل أثرها على الصحة النفسية، من بينها عدم إمكانية التمتع بالخصوصية بشكل واسع والعزلة، بما في ذلك الحبس الانفرادي، فنظراً لوضع السجون شبه المغلق وحالة العزلة التي تفرض على السجناء ورفضهم لحالة الاحتجاز، لمخالفتها الفطرة الإنسانية يترتب عن ذلك تدهور حالتهم النفسية.

وللإشارة فإن مشكلة سوء ظروف الاحتجاز بسبب عدم توفير الرعاية الصحية الملائمة في حينها لا تقتصر على البلدان الفقيرة، بل نجدها حتى في البلدان التي تتمتع بموارد كافية، لعدم تخصيصها اعتمادات مالية للصحة في السجون. ومن ناحية أخرى يمكن أن يؤثر سوء المعاملة داخل السجون على الصحة النفسية للسجناء، ومثال ذلك العنف بشتى أنواعه: الجنسي والتنمر والتحرش وتشويه السمعة والتمييز والإهانات التي تجرد السجن من إنسانيته التي قد يمارسها الموظفون. وعموماً يرتبط تدني الصحة البدنية وعدم وجود العلاج المناسب باعتلال الصحة النفسية بشكل وثيق، وكل جانب يؤثر على الآخر، مالم يتم التكفل به وإيفائه الرعاية اللازمة، فالعديد من الأمراض العضوية أسبابها نفسية، لاسيما ضغط الدم والسكري، وكما هو معلوم أن الصحة النفسية والعقلية للسجين تتأثر بسبب الاحتجاز وعدم تقديم العناية اللازمة للسجين، ما يؤدي إلى سوء حالته النفسية.

### 2.1 الضغوط الاجتماعية:

يعيش الإنسان في وسط غير مثالي عادة في أحضان مجتمع مليء بالمشاكل والصعوبات، وتربطه مع غيره من الناس علاقات شخصية تسهم في خلق ضغوط اجتماعية، مردها العائلة والأصدقاء والجيران، كما تشكل الضغوط التي تولدها بيئة العمل عقبة أمام كل تقدم للمضي قدماً نحو تحقيق الأهداف المنشودة، وقد ينجح الفرد في مقاومتها والتغلب عليها وقد لا ينجح، فيكون عرضة للكثير من المشكلات والأمراض والتي تنعكس بدورها على علاقته بالمجتمع المحيط.

فتعرض الفرد لظروف غير ملائمة، سواء كانت اجتماعية، اقتصادية أو غيرها — كالمعاناة من الفقر والحرمان والعنف وعدم المساواة يزيد من خطر إصابته بأمراض نفسية في أي مرحلة من مراحل عمره، ولعل أخطرها تلك التي تحدث أثناء طفولته المبكرة، باعتبارها مرحلة حساسة في تكوينه

وتنشئته، فالتربية القائمة على الخوف والعنف المادي أو اللفظي تؤدي إلى تقويض صحة الطفل وتسبب له مشاكل نفسية كبيرة عند البلوغ، لا سيما فقدان الثقة بالنفس وشعور المراهق بالنقص والضعف.

### 1.2.1 الضغوط الأسرية:

للأسرة دور فعال في الصحة والمرض، فالصحة الإيجابية أحد مسبباتها الأسرة السليمة والمتماسكة، لأنها تؤثر على النمو النفسي السوي، وعليه يتحدد وجود الصحة السليمة من عدمها أو الإصابة بالأمراض العضوية منها والنفسية بمدى توفر مناخ صحي داخل الأسرة. فما تعانيه الأسرة من تفكك في العلاقات، أو إصابة أحد أفرادها بمشكلة كبيرة كتعاطيه المخدرات، أو مشكلات النزاعات الأسرية كالطلاق، كلها أسباب تؤدي إلى ضغوطات نفسية تتسبب في انحرافات وجنوح أفرادها وتحول دون تحقيق إنجازات ونجاحات في المجتمع. وعلى النقيض من ذلك يعد تماسك الأسرة وترابطها وتحسين أفرادها من مسببات الانحلال الأخلاقي، بالحرص على تقوية الوازع الديني والأخلاقي وغرس القيم والمبادئ السامية بين أفرادها، حصنا منيعا في مواجهة مختلف التهديدات والأخطار، بل وتمثل تحديا لكل الصعوبات.

### 2.2.1 الضغوط الاقتصادية:

الحالة النفسية هي انعكاس لما يواجهه الفرد في حياته من ظروف إيجابية أو سلبية، فحتى يصل إلى الصحة النفسية المثالية، عليه أن يتخطى كل الضغوط وتوفر له أسباب ذلك، بدءا بالضغوط الأسرية ثم ضغوط العمل المرتبطة بأجواء العمل غير المناسبة، بحصوله على مورد مادي يكفل له العيش الكريم، وعدم تعرضه أثناء عمله للعوامل الطبيعية القاسية، التي تؤثر على صحته ومردوديته حتما. لا شك أن العجز في الموارد الاقتصادية للأسرة، الناجم عن الفقر أو البطالة وعدم القدرة على الإنفاق يؤدي إلى مشكلات أسرية تؤثر بدورها على الجانب الصحي للأفراد، فالأشخاص الذين يعانون وضعافا ماليا صعبا يصابون بالإرهاق والتعب النفسي، مثل البكاء والهيجان، كما يشعرون بالإحباط والعجز، لأن عدم القدرة على الحصول على أي دخل أو مصدر رزق يؤدي إلى شعور الفرد بالغضب والقلق لعجزه عن تلبية احتياجات وتوقعات الأشخاص الذين يعيّلهم وهو مسؤول عنهم. فلا أحد يمكنه إنكار ما للفاقة وتردي الأحوال المعيشية للفرد من آثار سلبية على صحته البدنية وحتى النفسية، وهو الأمر الذي يتسبب في إقصائه وعيشه في ضغوط نفسية صعبة، تسهم بدورها في تأزيم حالته ولجوءه إلى الإدمان غالبا.

### 3.2.1 العنف والأذى العاطفي:

تعرض الإنسان إلى صدمات وعنف شديد، مثل الاعتداء الجنسي أو الإيذاء الجسدي في مرحلة الطفولة، أو فقدان شخص عزيز، أو عند تعرضه إلى التنمر قد يتسبب له في كثير من الأزمات النفسية ويترك أثرا طويلا المدى عليه. فمن آثار التنمر مثلا وقوع الشخص في مشاكل نفسية وعاطفية وسلوكية على المدى الطويل، كالاكتئاب والشعور بالوحدة والانطوائية والقلق، واللجوء إلى السلوك العدواني نتيجة التنمر، فقد يتحول هو نفسه مع الوقت إلى متنمر أو إلى إنسان عنيف. وعليه يمكننا القول أن العديد من السجناء قد تعرضوا للتنمر، إما قبل دخولهم للسجن أو حتى بعد دخولهم، لأنه شائع في أوساط المساجين، وهو بالتالي سبب رئيسي لاعتلال صحتهم النفسية، بل وقد يزيد الأمر سوءا إلى حد الإصابة بالاكتئاب والانتحار أو ممارسة العنف داخل السجن كأقل تقدير.

وقد يكون التعرض للتحرش الجنسي، سواء في الطفولة أو في سن الرشد نزيفا نفسيا مخفيا، تتأثر به حياة الفرد ومن أهم ما يؤدي إلى تدهور صحة الأفراد النفسية<sup>1</sup>.

### 3.1 العوامل الوراثية:

تعرف الوراثة حسب العلماء بأنها انتقال السمات من الوالدين إلى الأولاد، بحيث تمثل كل العوامل الداخلية التي كانت موجودة عند بدء الإخصاب، وتنتقل الخصائص الوراثية للفرد من والديه عن طريق المورثات (الجينات)، التي تحملها الصبغيات (الكروموسومات). وتختلف هذه المورثات من شخص لآخر، أي أن كل فرد يتلقى جميعا مختلفا من المورثات، باستثناء التوائم المتطابقة. أما العوامل الوراثية فهي المسؤولة عن الإصابة بعدد كبير من الأمراض والتشوهات الجسمية، كالسكري، والمرض النفسي والاضطرابات النفسية والعقلية قد تتوارث في العائلات مثل الأمراض العضوية، كالإكتئاب وانفصام الشخصية. فتكون هذه الأمراض النفسية التي يعاني منها السجين مزمنة عادة وتحتاج إلى علاج ومتابعة داخل السجن، خاصة وأن حدة هذه الاضطرابات يمكن أن تزيد لمجرد دخوله للسجن.

### 2. تعزيز سلامة الصحة النفسية للمساجين:

للعناية النفسية داخل المؤسسات العقابية أهمية بالغة، فالرعاية النفسية تسهم في تهديب المحبوس بالتزامه بالقواعد الصحية، كما تسهم في تأهيله على نحو فعال، بحيث توفر العلاج له، ولها دور أيضا في التنفيذ العقابي، بالإضافة إلى الرعاية الاجتماعية التي تساعد المحبوس على تقبل الحياة الجديدة داخل المؤسسة العقابية والتكيف معها، وهي المسائل التي تطرق لها المشرع الجزائري في قانون تنظيم السجون وإعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين، بهدف تأهيل وإصلاح المحبوس.

وتعترف الدول الأعضاء في الأمم المتحدة بأن احتياجات الصحة النفسية في السجون معقدة، وتبنت من أجل ذلك معايير ومبادئ من بينها: وجوب توفير الرعاية النفسية والدعم بنفس الرعاية المتاحة في المجتمع خارج السجن (قاعدة مانديلا 24)، ووجوب توفر عدد كاف من الموظفين المتخصصين، بما في ذلك الأطباء النفسيين وعلماء النفس (قاعدة مانديلا 25).

وهي القواعد التي جاءت في الصيغة المنقحة للقواعد النموذجية الدنيا لمعاملة السجناء، التي اعتمدها الجمعية العامة في قرارها 70/175. وتتمثل أساليب الرعاية النفسية المطبقة على المحبوس داخل المؤسسة العقابية في كل من الأساليب الوقائية والأساليب العلاجية كذلك، حيث تتخذ المؤسسة العقابية جميع الاحتياطات لوقاية المساجين من الإصابة بالأمراض النفسية، وهي المتمثلة في الاهتمام بالمؤسسة ذاتها، والاعتناء بملبس ومأكل المحبوس، والإشراف الطبي من خلال فحص السجين وعلاجه، لأن هذه العناصر لها تأثير على نفسية السجين، على غرار تأثيرها على صحته البدنية وهذا بهدف تأهيله وإصلاحه لإعادة إدماجه في المجتمع.

### 1.2 دور الإشراف الطبي في الرعاية النفسية للمساجين:

لا يمكن إعمال الحق في الصحة النفسية والعقلية في السجون إلا بوجود مختصين في مجال الكشف عن المشاكل النفسية والعقلية، وهو ما أكدت عليه قواعد نيلسون مانديلا في المادة 25 بنصها على: 1- "يجب أن يكون في كل سجن دائرة لخدمات الرعاية الصحية، مكلفة بتقييم الصحة

- أحمد فاضل الكوت-زهراء حسين الموسوي- "أثر التحرش الجنسي على التوافق النفسي وتقدير الذات"-المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث-مجلة العلوم التربوية والنفسية<sup>1</sup>

البدنية والعقلية للسجناء وتعزيزها وحمايتها وتحسينها، مع إيلاء اهتمام خاص للسجناء الذين لديهم احتياجات إلى رعاية صحية خاصة أو يعانون من مشاكل صحية تعوق إعادة تأهيلهم.

2- تتألف دائرة خدمات الرعاية الصحية من فريق متعدد التخصصات، يضم عددا كافيا من الأفراد المؤهلين الذين يعملون باستقلالية إكلينيكية تامة، وتضم ما يكفي من خبرة في علم النفس والطب النفسي...".

ويتحمل فريق الرعاية الصحية في السجن مسؤولية المحافظة على السرية الطبية وضمان أن تكون جميع القرارات التي يأخذها السجن مبنية على معرفة مستنيرة (قواعد مانديلا 26، 31، 32).

### 1.1.2 أساليب التكفل النفسي الوقائي أو الاندماجي:

لكي تحقق الوسائل الوقائية غايتها في وقاية السجن من مختلف الأمراض النفسية، تتولى الإدارة الطبية بالمؤسسة العقابية مهمة الإشراف على تنفيذها، فيتأكد الطبيب من توفر الشروط الصحية اللازمة للتمتع بصحة وحالة نفسية جيدة، ويحق له في حالة تخلف أحد الشروط أن يطلب من مدير المؤسسة العقابية ضرورة توفيرها، وهذا ما نلمسه من خلال إقرار المشرع الجزائري في المادتين 58 وما يليها من القانون 04/05 لتقديم الإيساعات للمحبوس.

ونعني بالتكفل النفسي الوقائي والاندماجي ذلك التأهيل النفسي الذي يعمل على تبصير السجن بطبيعة الجرم الذي ارتكبه ويعواقبه وأضراره، فضلا عن التدخل لإعداد السجن وتهيئته، من خلال الخدمات التعليمية والمهنية والترفيهية، والجلسات الإرشادية، لمواجهة المرحلة الانتقالية ما بين حياة السجن والعودة إلى الحياة العادية، للتعويض من ظاهرة العودة.

وتهدف خدمات وبرامج التأهيل النفسي إلى مساعدة السجن وتمكينه من مواجهة مختلف المشاكل النفسية التي يعانيها والتغلب عليها، مثل فقدان الثقة بالنفس، الخوف من الوصم والعار، الشعور بالاكئاب، القلق، الخوف، والميول العدوانية التي غالبا ما يكون السجن مصابا بها. كما يهتم التأهيل النفسي بإعادة بناء الشخصية، وتحقيق توازنها النفسي، الذي هو المستوى الثالث في الصحة النفسية بعد السعادة والرضا أو القناعة بما هو موجود، وإذا تبين أن السجن يعاني من مرض الاكتئاب أو الهوس، فإنه يحول إلى أخصائي الطب العقلي.

### 2.1.2 أساليب التكفل النفسي التشخيصي والعلاجي:

يعد علاج المحبوس من الأمور ذات الأولوية لمواجهة المرض الذي يعد سببا للإجرام، وبذلك يتم تسهيل عملية تلقيه لأساليب المعاملة العقابية الأخرى، وتتمثل الأساليب العلاجية التي أقرها المشرع الجزائري في كل من: فحص المحبوس وعلاج المحبوس.

هذا ويعمل الأخصائي النفسي على التشخيص والعلاج والبحث في مراكز مختلفة، كمؤسسات الأحداث والمنحرفين، التي تعتمد عليه في دراسة حالات الجانحين وإجراء المقابلات معهم، لمعرفة دوافعهم وفهم مشكلاتهم وأنواع الصراعات التي يعانون منها، ليقوم في الأخير بكتابة التقارير الخاصة بتلك الحالات.

ويشمل التكفل النفسي: الملاحظة وإجراء مقابلات عيادية متعددة وتطبيق الاختبارات النفسية، قصد تشخيص وتقييم حالات السجناء (دراسات لتاريخ الحالة) ودراستها دراسة شاملة من النواحي النفسية والعقلية والتعليمية، تسهيلا لرسم طرق علاجهم وتوزيعهم على نشاطات البرنامج التمهيدي المسطر لهم<sup>1</sup>.

- ريمة حمدي-سهيل يخلف-مداخلة بعنوان: "تشخيص الأمراض النفسية في المؤسسة العقابية (السجون)"-جامعة 08 ماي 1945-قائمة-الجزائر-ص 13-14.

أ-فحص المحبوس: فلتأهيل وإصلاح المحبوس يقوم طبيب المؤسسة العقابية بفحص كل محبوس بمجرد دخوله السجن، كما يقوم بفحصه بعد دخوله المؤسسة العقابية وذلك على فترات محددة، كلما لزم الأمر (المادة 58 سالف الذكر)، بالإضافة إلى قيامه بالكشف عن كل محبوس مشتبه في إصابته بإحدى الأمراض، سواء كانت نفسية أو عقلية، ويتخذ الإجراءات اللازمة لمواجهتها، ويكشف العجز النفسي أو العقلي الذي يعوق تأهيل وتأديب المحبوس.

ب-علاج المحبوس: يشمل علاج المحبوس علاج جميع الأمراض التي يشكو منها أو التي يحتمل أن يكون لها تأثيرا سلبيا على صحته، سواء كانت نفسية أو عقلية، وتتاح للسجناء مجانا إمكانية الحصول على رعاية صحية ملائمة، فلا يتحملون تكاليف العلاج من أدوية وعمليات جراحية وغيرها. ولما كان علاج المحبوس حقا له، باعتباره متفردا من الحق في الرعاية الصحية، فإنه يلزم أن يتم ذلك العلاج وفقا للأساليب المتبعة مع الأشخاص العاديين وبنفس المستوى المتاح في المجتمع المحلي على الأقل (قاعدة مانديلا 24).

## 2.2 دور موظفي السجون في الرعاية النفسية للمساجين:

إن بناء علاقات جيدة بين الموظفين والسجناء مسألة غاية في الأهمية لها انعكاساتها على الصحة النفسية، حيث يتمثل عمل موظفي السجن في الوقاية من الاعتلال النفسي أو التسبب فيه أو تفاقم أعراضه، والتحقق من عافية السجناء، ولا يتوقع من الموظفين أن يقوموا بتشخيص الأمراض أو حتى قيامهم بمهام العاملين في الصحة النفسية، إلا أن استجاباتهم النفسية المناسبة في الوقت المناسب حاسمة، حيث يمكن أن يؤدي تدخلهم المبكر في المسائل الصغيرة إلى منع تطور المشاكل والأمراض ومنع إيذاء النفس.

### 1.2.2 الاستجابات والاحتياطات المتخذة من طرف موظفي السجون:

هناك بعض الحالات ذات الصلة باعتلال الصحة النفسية التي تتطلب تدخلا عاجلا من موظفي السجون، بما في ذلك احتمال أن يشكل السجناء خطرا على أنفسهم أو على الآخرين أو على سلامة وأمن المنشأة، ومن العلامات التحذيرية التي يجب أن يدركها ويتجهز لها موظفو السجون للتعرف على أمراض الصحة النفسية الخطيرة: التحضير للانتحار والسلوك غير السوي والمعاونة من تقلبات مزاجية حادة، ومن الإجراءات التي يجب اتباعها:

أ-الإجراءات الفورية: إذا اشتبه الموظفون بأن السجين يعاني من مرض نفسي خطير يتطلب تدخلا واهتماما عاجلا، فإنه يتعين عليهم على الفور اتخاذ بعض الإجراءات من بينها:

- تأمين المكان وتوفير الإسعافات الأولية اللازمة (قاعدة مانديلا 76).
- إبلاغ موظفي الرعاية الصحية في السجن ومديريهم، وإعلام الموظفين المعنيين الآخرين بالمعلومات الضرورية.
- إزالة أي مواد يمكن استخدامها للانتحار أو إيذاء النفس.
- عدم عزل السجين، أي عدم وضعه في الحبس الانفرادي، لأن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى تفاقم حالته (قواعد مانديلا 43-46).
- عدم استخدام القيود، ما لم يكن ذلك ضروريا لمنع السجناء من إيذاء أنفسهم أو غيرهم أو المؤسسة العقابية (قاعدة مانديلا 47).
- عدم استخدام القوة مع السجين، إلا في حالات الدفاع عن النفس أو عند محاولته الفرار، أو لمقاومته البدنية بالقوة أو للامتناع السلبي لأمر قانوني (قاعدة مانديلا 82).
- التواصل الإيجابي والتفاعل مع السجين من خلال الشروع في مباحثات هادئة معه، بالتحدث بشكل متعاطف معه والاستماع إلى مشاكله وانشغالاته في محاولة لفهم وضعه، مما يجنبه الوقوع في الاكتئاب والقلق.

ب- الإجراءات طويلة الأمد: وهي تلك الإجراءات التي تتخذ لمواجهة أي خطر يحيط بالسجناء، نذكر منها:

- التأكد من معاناة مختص في الصحة النفسية للسجناء ومداوتهم.
- الإشراف والمراقبة التامين وبالشكل الصحيح على كل الأشخاص المعرضين للخطر.
- توفير الدعم والمشورة المناسبة لهم باستمرار، وبناء علاقة وثام معهم، باستخدام لغة لفظية وجسدية إيجابية.
- الإبلاغ عن جميع الحالات التي تشكل خطرا وتسجيلها والتحقيق بها، ووضعهم في أماكن آمنة من الانتحار (قاعدة مانديلا 30).
- عدم معاقبة السجناء على حوادث إيذاء النفس ومحاولات الانتحار.

## 2.2.2 توفير بيئة آمنة في السجون:

على إدارات السجون أن توفر بيئة مناسبة وآمنة، لكي تضمن قدرة موظفيها على تقديم استجابة فعالة لمشاكل اعتلال الصحة النفسية، ووصولاً إلى ذلك عليها رسم سياسات واضحة وإجراءات معيارية مع السلطات المختصة في هذا الشأن، لعل أهمها:

أ- **حماية صحة موظفي السجون:** فقد يتعرض الموظفون أنفسهم لمشاكل بدنية ونفسية ناتجة عن العمل في بيئة السجن، حيث قد يؤثر الإجهاد في العمل وانعدام الاتصال مع الأسرة وساعات العمل الطويلة والعزلة وظروف العمل الخطيرة والتنمر والتخويف... الخ في تدهور حالتهم الصحية، مما يستدعي اتخاذ تدابير من طرف إدارة السجون للحفاظ على سلامتهم النفسية، كمبادرات الإرشاد والدعم النفسي، وفتح المجال للترقية الوظيفية.

ب- **تدريب موظفي السجون:** يجب أن يتلقى موظفو السجون بمن فيهم موظفي الإدارة تدريبات في مجال الصحة النفسية، يقدمها مختصون في هذا المجال طوال فترة الخدمة، وتتضمن مواضيع كأنواع الاعتلالات النفسية وأسبابها وأعراضها وطرق الكشف المبكر والتدخلات الواجب تقديمها... الخ. كما ينبغي أن يتلقى الموظفون التدريب على الاحتياجات النفسية الاجتماعية للمساكين المرضى وكيفية التواصل معهم (القاعدتين 75، 76).

ج- **التصميم الجيد للسجن:** لا بد أن تشيد السجون بمقاييس معينة تضمن قدرا من الراحة النفسية والهدوء، فتعتبر الهندسة المعمارية للسجن بمساحته الواسعة وموقعه المناسب عاملا لتكريس وحماية الصحة النفسية، إذ أن المنشآت الموجودة في المواقع النائية تحد من اتصال النزير بأسرته وتجعله في عزلة حقيقية، كما أنه من الضروري أن تخصص مساحات خضراء وحدائق بالسجون وتصاميم مريحة نفسيا، فهناك من التصميم ذات الديكورات القاسية أو المخيفة التي من شأنها تزويد المرض النفسي<sup>1</sup>.

## خاتمة:

في نهاية دراستنا لهذا الموضوع الذي حاولنا من خلاله البحث عن دور الرعاية الصحية النفسية للمساكين في إصلاح وإعادة تأهيل هذه الفئة من المجتمع بعد انقضاء مدة العقوبة، خلصنا لمجموعة من النتائج التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

- يلعب الإشراف الطبي والأخصائي النفسي دورا كبيرا في التكفل النفسي بالمساكين.
- هناك أساليب وقائية اندماجية للتكفل النفسي بالمساكين وأخرى تشخيصية وعلاجية.
- يقوم موظفو السجون بدور هام في الرعاية النفسية للمساكين، من خلال استجاباتهم الفورية والإجراءات التي يتخذونها في سبيل تحقيق ذلك على المدى البعيد.

1- شارون كريتوف-أوليفيا روب-المرجع السابق-ص 32-33.

- توفر البيئة الآمنة في السجون الأرضية الخصبة، بتوفير ظروف صحية تنعكس إيجاباً على صحة المساجين، كإهتمام بصحة موظفي السجون وتدريبهم، والتصميم الجيد والمريح للمؤسسات العقابية، من حيث المساحة والموقع... الخ.
- وكمحاولة منا للمساهمة في إثراء هذا الموضوع نتقدم ببعض التوصيات والاقتراحات:
- يجب على الدولة بمختلف مؤسساتها التحسين من ظروف الاحتجاز، التي غالباً ما تتسبب في انتشار الأمراض والأوبئة بين السجناء، لأن الاعتلالات النفسية لها حواملها العضوية التي تأثر عليها سلباً وتأزمها، ويكون ذلك ببناء سجون ذات معايير مناسبة، وكذا الاعتماد على بدائل العقوبات السالبة للحرية في الجرائم القليلة الخطورة للتخفيف من مشكلة اكتظاظ السجون.
- ضرورة الإشراف والمتابعة الطبية المستمرة والمكثفة، للحيلولة دون وقوع إصابات أو تفشي للأمراض بين المساجين، بتوفير الكادر الطبي الكافي والمتخصص لتشخيص ومعالجة الأمراض المختلفة، العضوية منها والنفسية.
- ضرورة توفير الإمكانيات والوسائل المادية اللازمة من وحدات صحية ومستشفيات وأدوية داخل السجون خاصة، للتكفل الصحي السريع والمجدي.
- تفعيل الرقابة على موظفي السجون، بمن فيهم الأطباء والأخصائيين النفسيين، للقيام بمهامهم على أحسن وجه، وتدريبهم على طرق وأساليب المعاملة اللفظية والجسدية مع المساجين، بمنع التعدي عليهم أو تعذيبهم، ورصد كل التجاوزات التي يرتكبونها في حق السجناء، أو الإهمال والتقصير الممارس من قبلهم في فحص السجناء أو علاجهم والاعتناء بهم.
- رسم استراتيجيات وسياسات أكثر جدية وتخصيص برامج تأهيلية فعّالة في شتى المجالات المهنية والتكوينية والتعليمية، باعتبارها من محددات الصحة النفسية، والتي تنعكس إيجاباً على نفسية السجين في المقام الأول.